من هنا ومن هناك

أشهر كتب الخلاصات الحديثة

كان مؤلفو العرب يعنون عناية فائقة بوضع كتب الخلاصات للعلوم والفنون والآداب ؛ وكانت كتبهم تكبر وتكبر حتى تغدو موسوعات ضخمة تسعف القارئ بما يحتاج اليه من المعارف العامة والنبذ الخاطفة من كل علم وفن ؛ ولعل كتاب الأغانى هو أول موسوعة عربية من نوعها . ومن الموسوعات العربية أيضاً كتاب نهاية الأرب للنويرى ، وصبح الأعشى للقلقشندى ولسان العرب لابن منظور المصرى ، والعقد الفريد لابن عبد ربه ومسالك الأمصار ، وتاريخ بغداد ... الخ ، وقد اقتبس الغرب هذه الطريقة الموسوعية عن أسلافنا العرب ، فوضع ديدرو موسوعته الفرنسية ، ثم كان للانجليز موسوعتهم كذلك ، ونحسب أن الموسوعة الايطالية الحديثة التى اشترك فى وضعها الطائفة موسولينى هى أكبر موسوعات العالم قاطبة ، وإن تكن لا تفضل الموسوعة البريطانية فى الدقة وتوخى الحقيقة فيما حفلت به من سائر المعارف العالية ، ولكن هذه الموسوعات غالية الثمن غالباً ؛ ولا يستطيع الأفراد إلا الأقلون منهم اقتناءها لهذا السبب ، فثمن الموسوعة البريطانية الرخيصة مثلاً (الطبعة الرابعة عشرة) خمسة وعشرون جنيهاً أو أكثر اذا دفع الثمن على أقساط ؛ وثمن الطبعة الغالية أكثر من خمسة وسبعين جنيهاً مصرياً . وقد وضعت شركة الكتب الانجليزية Everyman دائرة معارف للأعلام على طريقة وفيات الأعيان لابن خلكان وجعلت ثمنها أربعة جنيهات

لذلك راجت كتب الخلاصات Ourlines فى أوربا عامة ، وانجلترا خاصة ، وكان الأديب الانجليزى الكبير هـ . ج . ولز هو المبتدع لهذه الطريقة الطريفة ، وذلك حين وضع كتابه الجميل « خلاصة تاريخ العالم » ، يستعرض فيه تاريخ الحياة فى هذه الدنيا منذ بدء الخليقة إلى اليوم ، فأنت تقرأ فيه لمحة من كل علم ، وطرفة من كل فن ، وخطفة من كل أدب ، وينتقل ولز من الجيولوجيا إلى الانثروبولوجيا ، إلى البيولوجيا ، إلى التاريخ ، إلى الآداب ، الى الفنون ، الى العلوم ، الى الحركات الفعالة التى تناولت الأمم بالهدم والبناء ... وكل ذلك بأسلوب طلى ، ورروح وثاب ، وعبارة مشرقة غير مملولة . ولا يكاد القارئ يلتمس شيئا فى خلاصة ولز هذه إلا وجدها ، وهذه مهارة تحمد للمؤلف ، والخلاصة على نفاستها رخيصة الثمن جدا بحيث يستطيع القارئ العادى اقتناءها دون أن يرهق جيبه

وقد وضع ولز خلاصة ثانية لا تقل فى قيمتها عن خلاصته الأولى ، ولا تزيد فى ثمنها عليها ، تلك هى كتابه القيم (الانسان ، عمله ، ثروته ، سعادته) ، ويعرض فيه لطائفة رائعة من فنون العمل والحياة لا تكمل ثقافة الانسان إلا اذا وعاها

وقد ألف الكاتب الشاعر الانجليزى (جون درنكووتر) خلاصته فى آداب العالم ، وهى برغم ما فيها من الشوائب ، وما يعتور بحوثها من القصور المعيب أحياناً ، خلاصة قيمة بما حفلت به من تاريخ الأدب العالمى منذ فجر التاريخ إلى اليوم فى كل أمة ... إلا ... الشرق ! وإن يكن قد تناول آداب الشرق القديمة بفصول مشوهة مبتورة ، وإن يكن أيضاً قد خص الأدب الانجليزى بأكبر نصيب من خلاصته !

أما الخلاصة الأدبية القيمة حقاً فهى تلك التى كتبها الأديب المؤرخ الأمريكى الشهير برتن راسكو والتى سماها (جبابرة الأدب أو — أعاظم كتاب العالم) ، وقد اختار لها برتن راسكو أربعين أديباً وشاعراً من أكبر أدباء التاريخ وشعرائه ، بدأهم بهوميروس وختمهم بجورج مور ، ثم ختم الخلاصة بلمحة عن الأدب العالمى فى الخمسين سنة الأخيرة . وبرغم هؤلاء الأربعين أديباً ، فانك لا تكاد تذكر أديباً أو كاتباً فى كل عصور التاريخ إلا وجدت المؤلف حام حوله ، وأعطاك لمحة عما مهمك جداً من فنه وطريقته

وأشهر مؤلفاته ، ومع ذلك فثمن كتابه زهيد جداً

لذلك انصرف الناس عن الموسوعات لغلائها ولاشتمالها على موضوعات لا تهم غالبيتهم الى الخلاصات لرخص ثمنها ولتركزها فى باب بعينه كما فى خلاصة الفن وخلاصة الموسيقى

بيكون بين النقص والكمال

يغلو بعض مؤرخى الأدب الانجليزى فيدعى أنه لا يوجد منذ أرسطاطاليس الى فرنسيس بيكون فيلسوف مثل بيكون ! ومع اعترافنا بما كان لهذا الرجل من الأثر الكبير فى الذهن الانجليزى فى عصر النهضة فاننا لا نفضله على كثيرين من أبطالها ولاسيما هارفى وكبلر وغاليليو . وقد اشتهر بيكون بتفضيله التجربة فى العلوم على الاستدلالات المنطقية العقيمة وأكثر المؤرخين على أنه ليس مبتدع تلك النظرية ، فقد سبقه اليها العرب ، ثم اقتبسها عنهم غير بيكون من علماء النهضة . وكان بيكون معروفاً دائماً بالشذوذ الغريب حتى إنه كان يؤلف أحسن كتبه باللاتينية وذلك لعدم ايمانه بالانجليزية فى ذلك العصر ! !

على أن الذى يعنينا فى هذه اللمحة عن بيكون هو خلقه الذى انحدر الى الحضيض الأسفل من اللؤم والضعة . قال پوپ « بيكون فيلسوفنا المحترم ! هو أعظم بنى الانسان وأعقلهم ، كما أنه أخسهم وألأمهم ! ! » ولنذالة بيكون قصة مشجية تتلخص فيما يلى :

عند ما عاد بيكون من باريس كان أبوه قد مات ، وكان أخوه الأكبر قد استولى على جميع التركة بحكم التقاليد الانكليزية البالية التى كانت سائدة وقتئذ فى ذلك الشعب المحافظ العتيق . والتحق بيكون بوظيفة فى أحد الفنادق ليعيش ، ثم أكب على دراسة القانون حتى نال اجازة الحقوق فانخرط فى سلك القضاء فأبدى نبوغاً عظيما وعبقرية فذة . وكان اللورد بيرلى يعرف ما لهذا القانونى الشاب من خطر ، فشرع يقيم فى سبيله العراقيل حتى لا يبذ ابنه روبرت سيسيل الذى كانت له مطامح وآمال فى أكبر المناصب القضائية فى انجلترا . فلما شغرت وظيفة (الأفوكاتو العمومى) رشح لها بيكون بعبقريته ورسوخ قدمه فى القانون ، ثم روبرت سيسيل بحسبه ونسبه وضلع أبيه — اللورد بيرلى — فى الحكومة ومنزلته السامية لدى الملكة اليزابث ، وكانت هذه المؤهلات كلها (!) كفيلة بتعيينه فى المنصب واطراح بيكون

وكان (ايرل اسكس) يعجب ببيكون ويميل الى تعيينه ، فلما ضاعت مجهوداته عبثا عز عليه أن يقتل اليأس نفس الشاب النابغة ، فحدب عليه وواساه مواساة طيبة ، ثم وهب له أرضا واسعة تغل له غلة كبيرة ، وقصرا من أفخم قصور لندن على نهر التامز ! !

ودار الزمن دورته ، وساءت الأحوال بين الملكة وبين ايرل أسكس ، وقدم للمحاكمة بتهمة الخيانة العظمى ، فانتدبت الملكة أعز أصدقاء الأيرل ، فرنسيس بيكون ليكون عضوا فى الهيئة التى تتولى الدفاع عنها ... فاذا جرى ؟ ! لقد كان بيكون أشد المستشارين حماسة للملكة ضد صديقه الذى حدب عليه ، وأبعد عنه شبح الفاقة ، برغم ما كان يبدو من براءة الأيرل ، وبرغم ما كان يبدو من ميل بقية المستشارين الى تبرئته . . . ولم يكتف بيكون بهذا الموقف الشاذ اللئيم ، بل قدم مذكرة مسهبة بادانة صديقه ، ثم طلب فى نهايتها الحكم عليه بالأعدام !

وكافأته الملكة على حماسته ، فرفعته الى أعلى المناصب ، وأغدقت عليه أرفع الألقاب ، حتى غدا (لورد بيكون !)

ولما كتب بيكون كتابه فى الأخلاق (Essays) عقد فيه فصلاً من أحط ماعرفت البشرية عن (الحب والزواج والعزوبة) وذكر فيه أن الحب هو علاقة جنسية خالصة ، وغريزة شهوية وضيعة ، وأن المرأة بذلك إن هى إلا متعة للرجل وأنها مطيته الى اللذة الحيوانية الطارئة . . . الخ . . . فلما تقدم الى ليدى هاتون يطلب يدها لم تستح هذه المرأة المثقفة أن تصفعه فى وجهه بهذه الكلمة الخالدة « ليذهب الفيلسوف البهيم الى غابة قريبة فلينتق له بهيمة تكون مطيته الى لذة طارئة ثم ليلقها فلسفته ! »

ودار الزمان دورته مرة ثانية ! وأخذت الألسن تلوك اشاعات مخزية عن رشا يأخذها النائب العموى (وكان هو بيكون فى هذه الآونة) واضطر مجلس العموم إلى أن يثور طالباً محاكمته أمامه . . . فلما مثل الرجل وشرع الأعضاء يقذفونه بالتهمة تلو التهمة ، لم يسعه إلا أن يعترف ، ولم يسعه الا أن يبكى . . . والتمس من المجلس أن يعامله برحمة . . . وحكم عليه بغرامة هائلة قدرت بأربعين الف جنيه ، ثم بالسجن المؤبد . . . ولكنه لم يحبس غير ليلة واحدة ، ثم عفت عنه الملكة ! !

هذه لمحة عن أخلاق الرجل الذى وضع كتاباً فى الأخلاق ذم فيه أخلاق نبينا ! ! !

وهذا هو الرجل الذى يخلط بعض مؤرخى الآداب فيدعى أنه كتب كثيراً من الدرامات التى تعزى الى شاكسبير ! !

ترجمة القرآن

لا ندرى إذا كان على إمارة المسلمين فى زماننا هذا رجل مثل المأمون فاذا عساه كان صانعاً بمن يقولون بعدم جواز ترجمة معانى القرآن بعد ما أقرها أكثر العلماء ؟

ماذا كان يصنع المأمون بالأستاذ محمد سليمان بعد الذى صنعه بالامام الكريم ابن حنبل فى فتنة خلق القرآن ؟ !

لقد كنت أود لو أن الأستاذ محمد سليمان يجيد اللغة الانجليزية إذن لأرسلت اليه نسخة من ترجمة جورج سيل أو الاسكندر روس أو غيرهما ليقرأ بنفسه ما جاء فيها من الشطط فى ترجمة الآيات . وهو لو علم أن المسلمين ، غير العرب ، فى مشارق الأرض ومغاربها يتلون كتاب الله فى هذه التراجم ، ويكاد يصيبهم لما يلحظه من الضعف والسخف فيها ، لهتف حضرته مع الهاتفين بضرورة ترجمة معانى القرآن ...

هافلوك أليس

ذكرنا فى العدد الماضى من « الرسالة » كلمة عن إياحيين من إياحيي الأدباء الانجليز هما لورانس وجيمس جويس ، وقد فاتنا أن نشير إلى العلاقة بين مذهبهما ومذهب المنحطين من مثل أوسكار وبلد وأضرابه . ونذكر فى هذا العدد العالم الكبير هافلوك أليس لا على أنه إباحى مثل لورانس أو مثل جويس ، وإن دعا هو الآخر إلى التنعم بلذائذ الحياة من ذهنية وحسية وعدم كبت الغرائز والتفريج عنها ... ولكن بالوسائل المشروعة

وهافلوك أليس عالم فى التناسليات ، ولكنه بكل أسف ليس أديباً ، ولكن الأدباء فى انجلترا يصلون بينه وبين جمهورهم لأنهم متأثرون به

ولأليس ضريب آخر هو برتراندرسل سنتكلم عنه فى العدد القادم

(د . غ)

إلى صديقى أحمد أمين

[بقية المنشور على صفحة ٩٢٢]

للسلطان ؟ أم ترى أنا شغلنا عن النقد الأدبى بالدفاع عن قوم لم يكونوا يدافعون عن أنفسهم لأنهم لم يحسنوا هذا الدفاع أو لم يقدروا عليه أو لم يريدوا أن يتورطوا فيه ؟ أليس أول ما يجب على المؤرخ الأدبى وعلى المؤرخ بوجه عام أن يكون منصفاً ؟ أترى من الانصاف أن تزعم أن الذين حفظوا للشعب المصرى مظهر مقاومته للظلم وأدوا اليه رسالة ساسته وقادته ، وأدوا الى ساسته وقادته ما كان يضطرب فى نفسه من الآمال والأمانى ، وما كان يثور فى قلبه من العواطف ، كانوا منهزمين يداورون ويجاورون ويؤثرون العافية ؟

مهلاً أيها الصديق فقد يفهم من الشعوب قصر الذاكرة ، ولكنه لا يفهم من خاصة الناس وقادة الرأى وحفظة التاريخ . والغريب أن رأيك هذا فى إخوانك الكتاب يظهر أنه قد أعجبك حتى ألهاك عن حقائق ما كان ينبغى أن تلهو عنها . فهؤلاء الكتاب المنهزمون فى رأيك لم تشغلهم هذه السياسة العنيفة المنكرة عن الأدب ولا عن النقد ؛ وإنك لتعلم أنهم جميعاً كانوا يخاصمون فى السياسة وجه النهار ثم يفرغون لأدبهم آخره ؛ وكلهم قد أنتج فى الأدب أثناء المحنة ، وفى الأدب الخالص الذى لا يتصل بالسياسة ولا يمت اليها بسبب ؛ ومنهم من اتخذ السجن وسيلة إلى هذا الانتاج ؛ ومنهم من لم تصرفه ظلمة الحياة العامة وشدة الحياة الخاصة عن أن يجول فى عالم الفن جولات ثم يعود منه ومعه زهرات فى الشعر أو فى النثر يهديها اليكم لتلهوا بها وتستمتعوا بشذاها ، وتستعينوا بذلك على المضى فى أعمالكم الهادئة المطمئنة

مهلاً أيها الصديق فقد يخيل إلى أن هؤلاء الكتاب أنفسهم لم يهملوا النقد نفسه فى ذلك الوقت ولم يقصروا فى العناية به ؛ وإذا لم تكذبنى الذاكرة فانهم قد نقدوك أنت وتناولوا كتبك بما ينبغى لها من العناية والدرس ؛ وإذا لم تكذبنى الذاكرة فقد كانوا يفرضون على أنفسهم برغم السياسة وأثقالها وأهوالها ، وبرغم الحياة الشاقة التى كانوا يحيونها ، والتى عرفت منها شيئاً وغابت عنك منها أشياء ؛ كانوا يفرضون على أنفسهم أن يقرأوا ما يظهر من الكتب والدواوين وأن يقولوا رأيهم فيه ؛ كانوا يفرضون على أنفسهم صفحة أدبية فى الأسبوع يفرغون لها اليوم أو أكثر

من اليوم ، ويعرضون فيها للنقد كما تحبه وترضاه ، ولست أدرى كيف نسيت أن المقالات التى كانوا يذيعونها فى النقد أثناء هذه الأعوام الأخيرة قد كانت تثير من الخصومات شيئاً كثيراً ، منه ما يثور بينهم هم ، ومنه ما يثور بينهم وبين الأدباء الناشئين . ولعلك لم تنس بعد أن خصومة ثارت بينى وبين هيكل حول ثورة الأدب ، وأخرى بينى وبين العقاد حول اللاتينية والسكسونية ، وثالثة بينى وبين العقاد حول ديوان من دواوينه . فأنت ترى أن إخوانك لم يقصروا ولم يفتروا ، ولم يسالم بعضهم بعضاً . ولم يأمن بعضهم شر بعض . ولعلك لم تنس أنى قد اتخذت الراديو فى بعض الأحيان وسيلة من وسائل النقد ، فكنت أشتد حيناً على الكتاب الذين استمرت مريرتهم وتم لهم النضج ، وأرق حيناً آخر للكتاب الذين لم تستقم لهم الأمور بعد ؛ وأنا أفهم أن تطالبنا بالمزيد وألا تكتفى منا بما نعطى ، فنحن نطالب أنفسنا بالمزيد ولا نكتفى من أنفسنا بما ننتج ، ولكن هذا شىء ووصفنا بالمداراة والمجاراة وإيثار العافية شىء آخر

وبعد فليس السبيل على الذين أدوا واجبهم الأدبى كما استطاعوا وما زالوا يؤدونه كما يستطيعون برغم ما يملأ حياتهم من الهموم وما يعترض طريقهم من الشوك ، وإنما السبيل على الذين يتاح لهم الهدوء ويستمتعون بالبال الرخى والحياة المستقيمة المطمئنة ثم لا ينقدون لأنهم لا يقرأون ، أو لا ينقدون لأنهم يقرأون ويشفقون إن أعلنوا آراءهم أن يتنكر لهم الناس وأن يساقهم أصحاب المكتب بألسنة حداد

إلى هؤلاء أيها الصديق تستطيع أن تسوق الحديث ، وعلى هؤلاء أيها الصديق تستطيع أن تصب اللوم صباً

وأخرى لا أريد أن أختم هذا الفصل قبل أن ألم بها إلماماً . فأنت تذكر قوماً قد استووا على عروش الأدب وقد أمن بعضهم بعضاً وخافهم الناشئون ، فأنت إذن تعيد الخصومة بين من يسمون الشيوخ ومن يسمون الشباب جذعة . وأظنك توافقنى على أن التفكير فى هذه الخصومة لا يخلو من بعض الحزن . فقوام هذه الخصومة فيما أعلم أن الأدباء الناشئين ضعاف أثرون عجلون ، يخيل إليهم أن النقد يمحوهم من سجل الأدباء محواً ، مع أن النقد يثبتهم فيه إثباتاً . يريدون أن يبلغوا بالجهد اليسير ما بلغه أسلافهم بالمطاولة والمحاولة واحتمال الأذى وكثرة القراءة والدرس ، ويريدون أن يتم لهم ذلك ما بين طرفة عين وانتباهتها كما يقول القائل ؛ وفيهم كبرياء لا تخلو من سخف ، ومن سخف يذكر بأخلاق الأطفال ؛ فهم إن كتبوا رأوا لأنفسهم العصمة ، ولم ينتظروا من النقاد إلا ثناء وحمداً . فان أدركهم بعض النقد قالوا : حسد وتكبر واضطهاد وأثرة وتثبيط للهمم . وفيهم غرور يخيل إلى كل واحد منهم أنه ممتاز من أترابه جميعاً . ومهما أنس فلن أنسى كاتباً أضاع مودة وصداقة وحباً وعطفاً لا لشىء إلا لأنى جمعت بينه وبين كاتب من معاصريه فى فصل واحد ، وكان ينبغى أن يمتاز فى رأيه ، وإلا لأنى دعوته إلى أن يستزيد من القراءة فعد هذا اسرافاً واعتداء

أمام هذا الجيل الرخو من الأدباء الناشئين يضيق الناقد المخلص بالنقد ويزهد فيه ويصد عنه صدوداً فى بعض الأحيان ، ولكنه لا يلبث أن يرى حق الأدب عليه فيستقبل من أمره ما استدبر ، ويثنى على قوم وهو يعلم أن ثناءه سيملؤهم غروراً وسيخرجهم عن أطوارهم ، ويعيب قوماً وهو يعلم أن عيبه إياهم سيدفعهم إلى اليأس إن كانوا أخياراً ، وسيدفعهم إلى القحة إن كانوا أشراراً

ونحن برغم هذا بل من أجل هذا نمضى فى طريقنا لا نقف كما يظن بعض الناس ، ولا نرجع كما تظن أنت أيها الصديق ، لأنك فى أكبر الظن قد لا تتابعنا أحياناً ، وقد تطلب منا ما نطلب من أنفسنا وتحول ظروف الحياة بيننا وبينه

أما بعد ، فانى أحب أن أؤكد لك أنى أنا خاصة ما زلت عند رأيك القديم فى ، صريحاً إلى أقصى حدود الصراحة ، جريئاً إلى أقصى حدود الجراءة ، مستعداً فى هذا العام إلى أن أستأنف ما فعلت منذ عشر سنين ، وإلى أن استأنف ما فعلت منذ أربع سنين . وإنى لشديد الأسف أن كانت ثقة الأستاذ كراتشكوفسكى بى أقوى وأشد من ثقتك أنت ، فانه لم يتردد فى مقدمة ترجمته للأيام أن يتنبأ بأن ما عرض لى من الخطوب ليس كل شىء ، وأنه ينتظر أن يعرض لى مثله . ولكن الأمور مرهونة بأوقاتها فلا تتعجل ، فمن يدرى ؟

وأنا أرجو بعد هذا كله أن تتلقى هذا الفصل بصدر رحب . فانى أهديه اليك تحية صديق يضمر لك أصدق الحب وأوفاه

طه حسين